مناقب المتنبي ومعايبهُ

لحضرة صاحب السماحة السيد البكري نقيب السادة الاشراف وشيخ المشايخ(١)

كان ابو الطيب رجلاً مل‌ء العين قويًّا بدينًا خليقًا شخيصًا عاديّ الالواح مضبور الخلق قويّ الاساطين وثيق الاركان جيد النصوص فيهِ جفاء وخشونة وقد كانت القوة الغضبيّة آخذة كل مأخذ من نفس هذا الرجل ولهذه القوة فضائل تنشقُّ عنها وتنشأ منها ولها كذلك رذائل

فمن فضائلها الشجاعة وعظم الهمة والانفة والحمية والثبات والنجدة والشهامة ومن رذائلها الكبر والعجب والقحة والحقد وكان جميع ذلك موجودًا في نفس ابي الطيب يعلمهُ من قرأ كلامهُ وتتبع سيرتهُ واحوالهُ ونحن نفصّل ذلك ونأتي بكل صفة من صفاتهِ هذهِ ثم نشرحها ونستشهد عليها بكلامهِ واقوالهِ فنقول

﴿ الشجاعة ﴾ اي التهاون بالآلام والاقدام على ما ينبغي كما ينبغي * كان ابو الطيب رجلاً شجاعًا مقدامًا لايهاب الموت كأنهُ لا يعرفهُ . وكان سيف الدولة فطن لذلك وعرف الشجاعة في سيماهُ عند التحافهِ بهِ فأسلمهُ للروّاض فعلموهُ الفروسيّة والطراد والمثاقفة وكان يصحبهُ معهُ في غزواتهِ . قيل انهُ كان معهُ في غزوة العثاء في بلاد الروم وهي تلك الغزوة التي أبلى فيها سيف الدولة البلاء الحسن ووقف في فناء الموت حتّى فنيت جيوشهُ ولم يبقَ معهُ الاَّ ستة انفس كان المتنبي احدهم وحسبهُ ذلك

وربما خرج المتنبي من الشجاعة والحماسة الى التهوّر والخرق والقاء النفس في التهلكة كما وقع لهُ في مفتتح امرهِ مع ابي عبد الله معاذ بن اسمعيل حيث نهاهُ عن التهوّر في امر الدعوة والتعرض لما تجرع من البلايا فقال لهُ المتنبي

أبا عبد الاله معاذُ إني ... غنيٌّ عنك في الدنيا مقامي
ذكرتُ جسيمَ مطّلبي وإني ... أخاطرُ فيهِ بالمهج الجسامِ
أأثني تأخذُ النكباتُ منهُ ... ويجزعُ من ملاقاةِ الحمامِ
ولو برزَ الزمانُ اليَّ شخصًا ... لخضَّبَ شعرَ مفرقهِ حسامي

فوقع لهُ من جرّاء ذلك ما وقع من النكبة والسجن والقيد حتّى كاد يتلف كما قال

دعوتكَ عند انقطاع الرجا ... * والموت مني كحبل الوريدِ

(١) من مقالة لهُ نظمها في مجتمع اللغة العربية وستنشر في كتابهِ فحول البلاغة

ومثل ذلك ما وقع له في أخريات امره مع ابي نصر محمّد الجبلي لمّا اعطاه بجفد بني اسد عليه وترشّحهم له وأشار عليه بالاحتياط واستصحاب الخفراء فأبى عليه ذلك وقال لا ارضى أن يتحدّث الناس باني سرت في خفارة احد غير سيفي ثم قال يا ابا نصر كواسر الطير تخشاني ومن عبيد العصا تخاف عليّ والله لو أن مختصرتي هذه ملفاة على شاطىء الفرات وبنو أسد معطشون بخمس وقد نظروا الى الماء كبطون الحيات ما جسر لهم خف ولا ظلف ان يردهُ معاذ الله ان اشغل قلبي بهم لحظة عين . ثم ركب وسار فوقع في الهلاك وقتل هو وغلمانه جميعهم فكأنه في هذه الحالة لم ينظر الى قوله

الرأيُ قبل شجاعة الشجعانِ هو اول وهي المحلُّ الثاني

وبالجملة فقد قضى ابو الطيب معظم حياته في طلب الحرب والضرب والغارة والغلب واظهار الشجاعة والبأس والاكثار من ذكر ذلك في تضاعيف كلامه بحيث لا تكاد تخلو قصيدة من شعره او ارجوزة من قوله عن ذلك

وله في وصف الحروب والوقائع ونعتها طريق عجيب واسلوب غريب لا يكاد يبلغهُ غيرهُ من المتأخرين قال ابن الاثير في المثل السائر "اما ابو الطيب فحظي في شعره بالحكم والامثال واختص بالابداع في مواقع القتال وأنا اقول فيه قولاً لمست فيه منّا فيه ولا منة متقدّما وذلك انهُ اذا خاض في وصف معركة كان لسانهُ امضى من نصالها واشجع من ابطالها وقامت اقواله للسامع مقام افعالها حتّى يظن ان الفريقين قد تقابلا والسلاحين قد تواصلا فطريقته في ذلك يضل بسالكهِ وينوم بعذر تاركهِ"

فمن طرق ابي الطيب في نعت الحروب ان يهوّن خطبها على النفوس تارةً ويذكر فضائلها ومناقبها ويأخذ في الموت وامرهِ فيلطفهُ ويرققهُ وما زال يخشنهُ حتّى يلين ويصعّبهُ حتّى يهون فيسهّل الموت وهو ايسر مركب يُركب وذلك كقوله

وَلَوَ انّ الحياةَ تبقى لحيٍّ لعددْنا اضلّنا الشجعانا
واذا لم يكن من الموت بُدٌّ فمن العجْز أن تموتَ جبانا

وقوله وغاية المفرط في سلمهِ كغاية المفرط في حربهِ

وقوله اذا راغمت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في امر حقيرٍ كطعم الموت امر في عظيمِ

وقوله أرى كلّنا يبغي الحياةَ لنفسهِ حريصاً عليها مستهاماً بها صبّا
فحبُّ الجبانِ النفسَ اوردهُ التقى وحبُّ الشجاعِ النفس اوردهُ الحربا

ومن طرقهِ ايضًا ان يذكر امر تدبيرها وتصريف الرأي فيها واحكام سياستها ونحوها
ومن طرقهِ ان يأخذ في وصف الجيش وعَدَدهِ وعُدَدهِ ورجلهِ وخيلهِ وما يتبعهُ من طير ووحش ويصوّر كيفيّة القتال والزحف والمبارزة والانتصار والانكسار وما يحوم حول هذا المعنى ويأتي في ذلك بالمعاني الغريبة والبدائع النادرة ويتفنن فيها ما شاء ولهُ كذلك طريقة اخرى غريبة في بابها ساقنا اليها عشقهُ للحروب وشغفهُ بها وذلك انهُ يعبّر عنها بالفاظ الغزَل والنسيب وعبارات التشبيب ومن هذا الباب قولهُ

والطعنُ شزرٌ والارض واجفةٌ كأنما في فؤادِها وَهَلُ
قد صبغَتْ خدَّها الدماء كما يصبغُ خدَّ الخريدةِ الخَجَلُ
والخيل تبكي جلودها عرقًا بأدمعٍ ما تسحُّها مقَلُ

وقولهُ أعلى الممالك ما بنى على الاسلِ والطعن عند محبيهن كالقبلِ

وقولهُ شجاع كأنَّ الحرب عاشقة لهُ اذ زارها فدَّتهُ بالخيلِ والرجلِ

وقولهُ وكم رجال بلا ارض لكثرتهم تركت جمعهمُ ارضًا بلا رجلِ

ما زال طرفك يجري في دمائهمِ حتَّى مشى بك مشيَ الشاربِ الثملِ

وقولهُ فأنتك دامية الأظل كأنما حذيت قوائمها العقيقَ الاحمرا

وقولهُ قد سوّدت شجر الجبال شعورهم فكأنَّ فيهِ مسحة الغربانِ
وجرى على الورق النجيع القاني فكأنهُ النارنج في الاغصانِ

وقولهُ حتى أطرافَ فارسَ شُعَبيٌّ يحضُّ على التباقي بالتفاني
فلو طُرِحت قلوب العشق فيها لما خافتْ من الحَدَقِ الحسانِ

فهذا ما اردنا بيانهُ من ذكر شجاعة ابي الطيب واقدامهِ وقولهِ في الحروب والوقائع وما يتعلق بذلك

﴿ عظم الهمة ﴾ اي استصغار ما دون النهاية من معالي الامور * كان ابو الطيب ذا همة لا منتهى لها واظنهُ اكبر الشعراء المتاخرين علوَّ همةٍ وكبر نفسٍ

بلغ هذا الرجل بشعرهِ من الدرجات الرفيعة ما لم تبلغهُ الشعراء وتحظَ بهِ الادباء فقد تنافست فيهِ الرؤساء وتحاسدت عليهِ الامراء ونال من الجوائز والعطايا والاقبال مبلغًا وافرًا وحظًّا جزيلاً حتَّى كان يمدح الامير او الرئيس فينزل لهُ من السرير ويجلسهُ عليهِ ويقعد بين يديهِ ويناطرهُ مالهُ ويبلغهُ اقصى آمالهِ ومع هذا كلهِ فكانت همة الرجل ترمي بهِ فوق ذلك بمرامٍ فيرى في نفسهِ الغبن وان الزمان يعاكسهُ والدهر يحاربهُ ويبكي من حالهِ ويقول

ماذا رأيتَ من الدنيا واعجبهُ أني بما أنا باكٍ منهُ محسودُ

ويقول ايضاً

الى كم ذا التخلُّف والتواني وكم هذا التمادي في التمادي
وشغل النفس عن طلب المعالي ببيع الشعر في سوق الكسادِ
وما ماضي الشباب بمستردٍّ ولا يوم يمرُّ بمستعادِ

وهذا كلهُ نعالٍ بالمسم على الامم وخروج من خطة الشعراء الى مراتب الملوك والامراء فان الرجل كان يتطلب الملك ويرى نفسهُ اهلاً لهُ وبخالهُ من حقوقهِ المغصوبة منهُ ويأمر نفسهُ بالصبر والسكينة حتَّى تحين الفرص فيتناولهُ من ايدي الملوك والرؤساء ويستعين على ذلك بالخيلِ والرجلِ ويذكر ذلك في اشعارهِ ومقالاتهِ كقولهِ

ساطلب حقي بالقنا ومشايخٍ كأنهمُ من طول ما التثموا مردُ
ثقالٍ اذا لاقوا خفافٍ اذا دُعوا كثيرٍ اذا شدُّوا قليلٍ اذا عدُّوا
وطعنٍ كأنَّ الطاعن لاطعن عندهُ وضربٍ كأنَّ النار من حرّهِ بردُ
اذا شئت حفَّت بي على كل سابحٍ رجالٌ كأنَّ الموت في فمها شهدُ

وكقولهِ ولن عمرتُ جعلتُ الحرب والدةً والسمهريَّ اخاً والمشرفي أبا
بكل اشعث يلقى الموتَ مبتسماً حتَّى كأنَّ لهُ في موتهِ أربا
فجٍّ يكادُ صهيلُ الخيلِ يقذفهُ من سرجهِ مرحاً بالعز اوطربا
فالموت أعذر لي والصبر اجمل بي والبرُّ اوسعُ والدنيا لمن غلبا

وقولهِ ايضاً

لقد تصببت حتَّى لات مصطبر فالآن أقحم حتَّى لات مقتحمِ
لأتركنَّ وجوهَ الخيل ساهمةً والحرب اقوم من ساقٍ على قدمِ
بكل منصلتٍ ما زال منتظري حتَّى ادلتُ لهُ من دولة الخدمِ
شيخٍ يرى الصلواتِ الخمسَ نافلةً ويستحلُّ دمَ الحجاج في الحرمِ

وكقولهِ ذريني انل ما لا ينال من العلا فصعب العلا في الصعب والسهل في السهلِ

وما زال حب الملك يدور في رأسهِ ويلعب في صدرهِ حتَّى بعثهُ على الخروج على السلطان والاستظهار بالشجعان فلم ينجح في ذلك لفقدان العصبيَّة اوما يماثلها من الموالي والمصطنعين واصابهُ من جرَّاء ذلك ما كاد يتلفهُ. فلما رأى ان الامر لا يؤتى من هذا الطريق مال الى الحيلة والرأي فرأى ان يقصد اميرًا من اغبياء الامراء اوضعفاء الملوك فيتوسل اليهِ بالشعر

حتّى يفرّبه ويدنيه فاذا تمكن الانس واستحكمت المودة بينهما رغب اليه ان يوليه ولاية بعض الاطراف او ينيط به ضيعة بعيدة ثم يؤلف هنالك الرجال ويصطنع الموالي ويجمع لفيفًا من الغوغاء والدهماء فيخرج بهم للفتوحات ويدوّخ الارض ويملك الممالك ويقتل العالمين كما قال

افكر في معاقرة المنايا وقود الخيل مشرفة الهوادي
زعيمًا للقنا الخطي عزمي بسفك دم الحواضر والبوادي

ثم تامل ابو الطيب فلم يجد في ملوك عصره ورؤسائه اقل واضعف في عينه من كافور فقصده ووقع له منه ما وقع كما يناه في غير هذا الموضوع

ومن الغريب ان همة هذا الرجل لم تقف عند حدّ الملك بل تعالت به فادّعى النبوة وخرج يدعو الناس اليها كما هو مشهور

﴿ الحمية ﴾ اي الغضب عند الاحساس بالنقص * كان ابو الطيب من اشدّ الناس غضبًا عند الاحساس بالنقص وهو القائل

ما أبعد العيب والنقصان من شرفي أنا الثريّا وذان الشيب والهرمُ

وانظر اليه كيف فارق سيف الدولة لما رأى منه النقص في حقه والتقصير في معاملته في مسئلة ابن خالويه ونحوها ولم تمسكه العطايا والمنح والدنيا وزينتها بل فارقه غير آسف وخاطبه من مصر بقول له من قصيد

اني أصاحب حلمي وهو لي كرمٌ ولا أصاحب حلمي وهو لي جُبُنُ
ولا اقيم على مال أذلّ به ولا ألذ بما عرضي به درنُ
وان بليت بودّ مثل ودكمُ فانني بفراق مثلهُ قمِنُ

﴿ الانفة ﴾ اي بعد النفس عن الامور الدنيئة * كان من طبع أبي الطيب النفور والبعد عن الامور الدنيئة والمواطن الخسيسة ونحوها وهو القائل

ذلّ من يغبطُ الذليلَ بعيش رُبّ عيش أخفّ منهُ الحمامُ
من يهُنْ يسهل الهوان عليه ما لجرحٍ بميّت إيلامُ

وقال ايضًا

واحتمال الاذى ورؤية جانيـ ـه غذاء تضوى به الاجسامُ

وقال ايضًا

ولا يروق مضيًا حسن بزتهِ وهل يروق دفينًا جودة الكفنِ

﴿ التثبت ﴾ وهو الفضيلة التي يقوى بها الانسان على احتمال الآلام * كان ابو الطيب صبوراً على احتمال الآلام غير مختل بالحوادث قد جرّب الزمان وحلب اشطر الدهر وعانى مصائبه وآلامه حتّى صارت له عادة مألوفة لا يفزع لها كما قال

أنكرتُ طارقة الحوادث مرةً ثم اعترفتُ بها فصارت ديدنا

وقال ايضاً

ألا لا أُري الاحداث حمداً ولا ذمّا فما بطشها جهلاً ولا كفها حلما

ثم قال

عرفت الليالي قبل ما صنعت بنا فلما دهتني لم تزدني بها علما

وقال وهو في السجن بين القيد والقطع

كن ايها السجن كيف شئتَ فقد وطنتُ للموت نفس معترفِ

﴿ التجدة ﴾ أي ثقة النفس عند المخاوف حتّى لا يجاورها فزع * قال ابو الطيب في نفسه

أطاعن خيلاً من فوارسها الدهرُ وحيداً وما قولي كذا ومعي الصبرُ
وأشجع مني كل يوم سلامتي وما ثبتت الاّ وفي نفسها امرُ
غرست بالآفات حتّى تركتها تقول أمات الموت ام ذعر الذعرُ
واقدمتُ اقدامَ الأتي كأنّ لي سوى مهجتي او كان لي عندها وترُ
دع النفسَ تأخذ وسعها قبل بينها فمفترقٌ جارانِ دراهما العمرُ

﴿ الشهامة ﴾ وهي الحرص على الاعمال العظام توقعاً للاحدوثة * قضى ابو الطيب معظم عمره في هذا السبيل وشعره مفعم بهذا المعنى ومن قوله فيه من قصيدة

وتركك في الدنيا دوياً كأنما تداول سمع المرء أنمله العشرُ

وقال ايضاً

اذا لم تجد ما يبتر الفقر قاعداً فقم واطلب الشيء الذي يبتر العمرا
هما خلتان ثروة او منيّة لعلك ان تبغي بواحدة ذكرا

﴿ التحة ﴾ وهي المجاهاة بالكلام الغليظ واستصغار الغير في عينه * لم يخلُ ابو الطيب من هذه الوصمة بل كانت تظهر عليه في بعض الاحايين وثبت في اشعاره وقد اصابه من جرّائها عناء شديد في كثير من الاحوال حتّى كانت هي السبب في قتله وذلك انه هجا ضبة الاسدي بشعر مملوء بالسفو والوقاحة منه قوله

ما أنصف القوم ضبه وامه الطرطبه
وما بشقّ على الكا سبران يكون ابن كلبه

الى غير ذلك من الكلام الذي يترّه هذا المقام عن ايرادهِ فهاج ذلك بني أسد عليهِ فتناولهُ

﴿ الحقد ﴾ وهو اضمار الشر اذا لم يتمكن من الانتقام * انظر كيف كان حقده على كافور وذمّهُ له كلما عنّ ذلك سواء كان مادحًا او راثيًا او مهنّئًا. قال يرثي ابا شجاع فقال في اثناء القصيدة

أيموت مثل أبي شجاع فاتكٍ ويعيش حاسدهُ الخصي الاوكعُ
ايدٍ مقطعة حوالي رأسهِ وقنًا يصيح بها الا من بصفعُ
أبقيتَ أكذب كاذب أبقيتهُ واخذت أصدق من يقول ويسمعُ
وتركت أنتن ريحة مذمومة وسلبت أطيب ريحة تضوّعُ

وروى له بعض الرواة قصيدتي مدح في سيف الدولة لم يثبتا في ديوانهِ وفيهما هجاء شديد في كافور

﴿ الكبر ﴾ اي استعظام المرء نفسهُ واستحسانهُ فعلهُ دون غيرهِ * كان ابو الطيب ذا كبرياء وتيهٍ كما قال فيهِ القائل

كان من نفسهِ الكبيرة في جيـ ـش وفي كبرياء ذي سلطان

ومن كبرهِ انهُ كان اذا مدح سيف الدولة انشدهُ قاعدًا دون جميع الشعراء وبينما هو يمدحهُ يومًا بقصيدة له وهو قاعد اعترضهُ بعض رجال الحضرة وعذلهُ في قعودهِ فنظر اليهِ ابو الطيب وقال له اما سمعت مطلعها وكان ذلك المطلع قولهُ (لكل امرء من دهرهِ ما تعوّدا) وقد اشترط على سيف الدولة اول اتصالهِ بهِ انهُ اذا انشدهُ لا ينشدهُ الاّ وهو قاعد وانهُ لا يكلفهُ تقبيل الارض بين يديهِ فنسب الى الجنون ودخل سيف الدولة تحت هذه الشروط.

وهذه الامور وان كانت تعد من مناقب ابي الطيب وتلحق بالانفة التي هي صون النفس عن الامور الوضيعة والحمية التي هي عدم قبول النقص والحرّية والاباء الاّ انها لما كانت حالات معروفة وامورًا مألوفة لشعراء ذلك الوقت فخروج ابي الطيب عنها وخرقهُ لاجماعهم عليها يعدّ من كبريائهِ وتعاليهِ. ثم ان ابا الطيب لما قصد كافورًا ولم يتمكن عندهُ من هذه الحالة مال الى حالة اخرى ليميز بها عمّن سواهُ وهي انهُ كان اذا قام لمديحهِ وقف بين يديهِ وفي رجليهِ خفان وفي وسطهِ سيف ومنطقة ويركب بحاجبين من مماليكهِ وهما بالسيوف والمناطق

قال ابو علي الحاتمي في رسالتهِ المشهورة كان ابو الطيب عند ورودهِ مدينة السلام قد

التحف برداء الكبر والعظمة لا يرى احدًا الاَّ و يرى لنفسهِ مزيَّة عليهِ حتَّى اذا ثقلت وطأته على اهل الادب بمدينة السلام قصدتهُ محلة فحين استؤذن لي نهض من مجلسهِ ودخل بيتًا الى جانبهِ ونزلتُ عن بغلتي وهو يراني ودخلت الى مكانهِ فلما خرج اليَّ نهضت فوقيتهُ حق السلام غير مشاحٍّ لهُ في ذلك وكان سبب قيامهِ من مجلسهِ ان لا يقوم لي عند موافاتي واعرض عني ساعة لا يعيرني طرفًا ولا يكلمني حرفًا وكدت اغيِّر غيظًا وأقبلت اسنهُ رأيي في قصدهِ وهو مقبل على تكبرهِ ملتفت الى الجماعة الذين بين يديهِ وكل واحد منهم يرمي اليهِ و يوحي بطرفهِ و يشير الى مكاني و يوقظهُ من سنتهِ فما يزداد الاَّ ازورارًا جريًا على شاكلة خلقهِ ثم توجه اليَّ فما زاد في على قولهِ "اي شيء خبرك"

ومن كبرهِ انهُ كان يرى نفسهُ في عداد الرؤساء ومنزلتهُ في منازل الملوك فيخاطبهم كما يخاطب القرين قرينهُ والصاحب صاحبهُ كقولهِ يخاطب ابن العميد

تفضلت الايام بالجمع بيننا فلما حمدنا لم تدمنا على الحمدِ

ونحو ذلك في شعرهِ كثير

ومن كبرهِ ايضًا وهوسهِ بنفسهِ انهُ كان يرى مدحهُ الرؤساء نعمةً عليهم وانهُ ان فارقهم بكوا لذلك واعولوا كما قال في سيف الدولة بعد فراقهِ لهُ

رحلتُ فكم باكٍ باجفان شادنٍ عليَّ وكم باكٍ باجنان ضيغمِ
وما ربة القرط المليح مكانهُ باجزع من رب الحسام المصممِ

وكما قال ايضًا

لئن تركنَ ضميرًا عن ميامننا ليحدثنَّ لمن ودَّعنهم ندمُ

ومن كبرهِ انهُ اذا همَّ بعتاب ملك او امير تعطرف في القول واستهان بهِ كقولهِ يعاتب سيف الدولة

وما انتفاع اخي الدنيا بناظرهِ اذا استوتْ عندهُ الانوارُ والظلمُ
كم تطلبون لنا عيبًا فيعجزكم والله يكرهُ ما تأتون والكرمُ

فهذه جملة في آثار القوة الغضبيَّة في طباع هذا الرجل وما كان من ذلك في عداد المناقب والمثالب ونذكر الآن لهُ صفات اخرى عرف بها

فمن ذلك البخل * كان ابو الطيب شحيحًا تضرب ببخلهِ الامثال ولهُ في ذلك اخبار مشهورة فمنها ما رواهُ ابو الفرج البغا (قال) كان ابو الطيب يانس بي و يشكو من سيف الدولة و يأمنني على غيبتهِ وكان بيني و بينهُ عمار دون باقي الشعراء وكان سيف الدولة

يغتاظ من تكبره وتعاظمه ويجنون عليه اذا كلمه والمتنبي مجيبه في اكثر الاوقات ويتغاضى في بعضها واذكر ليلة قد استدعى سيف الدولة ببدرة نفقها بسكين الدواة فمد ابو عبد الله بن خالويه طيلسانه فحثا فيه سيف الدولة صالحًا ومددت ذيل ذراعي فحثا لي جانبًا والمتنبي حاضر وسيف الدولة منتظر منه ان يفعل مثل ذلك فما فعل كبرًا عليه فغاظه ذلك فنثرها كلها على الغلمان فلما رأى المتنبي انه قد فاتته زاحم الغلمان يلتقط معهم فغمزهم عليه سيف الدولة فداسوه وصارت عمامته في رقبته فاستحى ومضت به ليلة عظيمة

ومن بخله انه دخل مجلس ابن العميد وكان يستعرض سيوفًا فلما نظر ابا الطيب نهض من مجلسه واجلسه في دسته ثم قال له اختر سيفًا من هذه السيوف فاختار واحدًا ثقيل الحلى واختار ابن العميد غيره فقال كل واحد منهما سيفي الذي اخترته اجود ثم اصطلحوا على تجربتهما فقال ابن العميد فبماذا نجربهما فقال ابو الطيب في الدنانير يؤتى بها فيضد بعضها على بعض ثم تضرب به فان قدها فهو قاطع فاستدعى ابن العميد عشرين دينارًا فشدت ثم ضربها ابو الطيب فقدها وتفرقت في المجلس فقام من مجلسه المخم يلتقط الدنانير المتبددة فقال ابن العميد ليلزم الشيخ مجلسه واحد الخدام يلتقطها ويأتي بها اليه فقال بل صاحب الحاجة اولى (قال) ابو بكر الخوارزمي كان المتنبي قاعدًا تحت قول الشاعر

وان احق الناس باللوم شاعر يلوم على البخل الرجال ويبخل

وانما اعرب عن طريقته وعادته بقوله

بليت بلى الاطلال ان لم اقف بها وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه

(قال) وحضرت عنده يومًا وقد احضر مالاً بين يديه من صلات سيف الدولة على حصير قد فرشه فوزنه واعيد الى الكيس وتخللت قطعة كاصفر ما يكون بين خلال الحصير فاكب عليها بجامعه يستنفذها منه واشتغل عن جلسائه حتى توصل الى اظهارها وانشد قول قيس بن الخطيم

تبدت لنا كالشمس تحت غمامة بدا حاجب منها وضنت بحاجب

ثم استخرجها فقال بعض جلسائه اما يكفيك ما في هذه الاكياس حتى ادميت اصبعك لاجل هذه القطعة فقال انها تحضر المائدة

(وقال) ابو البركات بن ابي الفرج المعروف بابن ابي زيد الشاعر قد بلغني انه قيل للمتنبي قد شاع عنك البخل في الآفاق حتى صار مثلاً وانت تمدح في شعرك الكرم واهله وتذم البخل ألست القائل

ومن ينفق الساعات في جمع مالهِ مخافة فقر فالذي فعل الفقرُ

ومعلوم ان البخل قبيح وسنك اقبح لانكَ تتعاطى كبر النفس وعلو الهمة وطلب الملك والملك ينافي سائر ذلك فقال ان للبخل سببًا وذلك اني اذكر وقد وردت في صباي من الكوفة الى بغداد فاخذت خمسة دراهم في جانب منديلي وخرجت امشي في اسواق بغداد فمررت برجل يبيع الفاكهة فرأيت عندهُ خمسة من البطيخ بأكورة فاستحسنتها ونويت ان اشتريها بالدراهم التي معي فتقدمت اليهِ وساومتهُ ثمنها فقال لي بازدراء اذهب فليس هذا من اكلك فتماسكت معهُ وقلت ايها الرجل دع ما يغيظ واقصد الثمن فقال ثمنها عشرة دراهم فاشتد ما جبهني بهِ لم استطع ان اخاطبهُ في المساومة فوقفت حائرًا ودفعت لهُ خمسة دراهم فلم يقبل واذا بشيخ من التجار قد مرَّ بنا فوثب اليهِ صاحب البطيخ ودعا لهُ وقال يا مولاي ها بطيخ بأكورة باجازتك أحملهُ الى منزلك فقال الشيخ ويحك بكم هذ فقال بخمسة دراهم فقال بل بدرهمين فباعهُ الخمسة بدرهمين وحملها الى دارهِ ودعا لهُ وعاد فرحًا مسرورًا فقلت يا هذا ما رأيت اعجب من جهلك استمت عليَّ في هذا البطيخ وفعلت فعلتك التي فعلت وكنت اعطيتك في ثمنهِ خمسة دراهم فبعتهُ بدرهمين محمولاً فقال اسكت هذا يملك مائة الف دينار. فقلتُ في نفسي ان الناس لا يكرمون احدًا اكرامهم من يعتقدون انهُ يملك مائة الف دينار واعتمدت ان يكون عندي مثلها فانا اجدُّ في ذلك على ما تراهُ حتَّى يقولوا ان ابا الطيب قد ملك مائة الف دينار. وقد وقع في شعر ابي الطيب الوصيَّة بالحزم وضبط الاموال كقولهِ في قصيدتهِ التي اولها

أَوُدُّ من الايام ما لا تودُّهُ ... واشكو اليها وهي جندهُ

ومنها

وأتعب خلق الله من زاد همهُ ... وقصَّر عمَّا تشتهي النفس وجدهُ

فلا يخلل في المجد مالك كلهُ ... فبخل مجد كان بالمال عقدهُ

ودبرهُ تدبير الذي المجد كفهُ ... اذا حارب الاعداء والمال زندهُ

فلا مجد في الدنيا لمن قلَّ مالهُ ... ولا مال في الدنيا لمن قلَّ مجدهُ

يصف كافورًا بالبخل ويرغبهُ فيهِ * ومن نعوت ابي الطيب انهُ كان لا يحب شرب الخمر يعرف فيهِ ذلك ندماؤهُ واصحابهُ وربما اغلظوا عليهِ في شربها فيأباها فيحلفون بالطلاق ونحوهِ ويكرهونهُ عليها كما قال

واخٍ لنا بعث الطلاق أليةً ... لأُعللنَّ بهنَّ الخرطوم

فجعلت ردي عرسهُ كفارة ... عن شربها وشربت غير اثيم

وكان ينهى من يجالس من الامراء عن شربها حتّى ان ممدوحهُ المشهور بدر بن عمار كان تاب عنها ثم عاد فقال فيهِ ابو الطيب

يا ايها الملك الذي ندماؤهُ شركاؤهُ في ملكهِ لا ملكهِ
في كل يوم بيننا دم كرمة لك توبة من توبة في سنكهِ
والصدق من شيم الكرام فقل لنا أمن الشراب تنوب أم من تركهِ

ومن نعوتهِ انهُ كان قوي الذاكرة جدًّا وقيل له في ذلك فقال

انما احفظ المديح بعيني لا بقلبي لما أرى في الاميرِ
من خصال اذا نظرت اليها نظمت لي غرائب المنثورِ

وكان يحب اللعب بالشطرنج ومن شعرهِ في ذلك وقد جاء المطر

ألم ترَ ايها الملك المرجّى عجائب ما رأيت من السحابِ
تشكى الارض غيبتهُ اليها وترشف ماءهُ رشف الرضابِ
واوهم ان في الشطرنج همي وفيك تأملي والك انتصابي

العلاج الجديد بحقن المواد العضوية

بقلم سعادة الدكتور حسن باشا محمود

ان طريقة الحقن تحت الجلد بالمواد العضويّة قد نتج عنها حديثًا فوائد عظيمة اقرّ بها الاطباء حتّى عرفنا ما ورد لنا في الجرائد الطبيّة ومن مجرباتنا الخصوصيّة ان هذه المواد صارت علاجًا كافيًا اكثر من بعض الادوية التي استعملت في امراض خصوصيّة ولذا رغبنا في ذكر بعض المواد العضويّة التي جرّبناها مع بيان النتائج التي نجمت عنها فنقول

من هذه المواد سائل برون سيكار الفرنسوي وهو سائل الخصى ولما قال بهِ مكتشفهُ اول مرة في باريس سنة ١٨٨٩ استهزئ بكلامهِ ثم انتشر استعمالهُ حتّى صار الآن من الطرق العلاجيّة المعتادة وزاد الاعتناء بهِ لما حسن طريقة تحضيرهِ بارسون قال لانهُ صيّرهُ خاليًا من العفونة التي كانت منشأ الضرر الحاصل من استعمالهِ. ومن الآلة الوسخة المستعملة للحقن فلاجل تجنب هذا الضرر استعمل السائل الذي في قناعات من زجاج وترك السائل الموضوع في اوانٍ محكمة . واما نحن فنستعمل السائل الذي نحضرهُ جديدًا من خصى الارانب خاليًا من كل عفونة لان مدة التحضير قصيرة ونحقنهُ بحقنة براغماس المطهرة من كل عفونة بالكوّل